

## ❖ إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي -المنهج والتطبيق-

✍ دعمار جبدل.

أستاذ محاضر ورئيس قسم العقائد والأديان  
كلية أصول الدين - جامعة الجزائر - .

### **القسم الثاني:**

لقد بينا في القسم الأول من هذه الدراسة في العدد السابق، أن بديع الزمان النورسي قد عمل في جو تميّز بالتضييق على كل دعوة إلى التدين والإصلاح الديني، وتتجلى عبقريته في السمات العامة لمنهجه في التأليف، وتتأكد تلك العبقرية في الميزات العامة لمنهجه في التغيير، إذ رغم التضييق استطاع أن يكون اتجاهها علميا عمليا في المجتمع التركي الحديث.

جعلنا تعريفنا بالنورسي بمثابة فرشة البحث، لننتقل بعدها إلى بيان أن الإثبات وفق فهم النورسي أوسع من استعمالات سائر علماء الإسلام على تنوع تخصصاتهم، كما أنه استعمل مصطلح الإيمان وفق الدلالة العملية على مشرب أهل السنة والجماعة (الأشاعرة، و الماتريدية، وأهل الحديث)، واستطعنا من خلال هذه الإطالة حصر مصادره (الكتاب، والسنة، والكلام، والفلسفة، والتصوف،...)، وجعلنا الحديث عن المصادر مطية للوصول إلى أشكال الأدلة التي استثمرها من خبرتنا المعرفية بجميع مكوناتها، انتقلنا بعدها إلى القسم الثاني وفق الخطة التي رسمتها في معالجة الموضوع (أنظر القسم الأول).

### **ثالثا: أشكال الأدلة:**

يقصد بمصطلح أشكال الأدلة مجموعة القوالب الاستدلالية في مجالي التأسيس للعقائد أو إبطال أقوال الخصوم، إلا أننا ركزنا في هذا السياق على الجانب الإنشائي، وقسمناها وفق ما



أوردها النورسي نفسه.

### 1/3 - الأدلة القرآنية:

ارتضى لنفسه تقسيم الأدلة القرآنية وفق نسق ابن رشد الحفيد<sup>(94)</sup>، الذي قسم تلك الأدلة إلى نوعين، قال النورسي: "للقرآن الكريم في معرفة الله سبحانه واثبات وحدانيته طريقتين:

**الأولى: دليل العناية والغاية.**

**الثانية: دليل الاختراع.**

دليل العناية والغاية: مفاده إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات وما فيها من رعاية المصالح والحكم إذ النظام المندمج في الكائنات وما فيه من رعاية المصالح والحجم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفيا قاطعا وهم المصادفة والاتفاق الأعمى<sup>(95)</sup>.

دليل الاختراع: يرسخ القرآن الكريم هذا الدليل في آياته التي تبحث عن الخلق والإيجاد، ويؤكد في أسلوب لا لبس فيه أن لا مؤثر إلا الله وحده. إن الله أعطى لكل فرد، ولكل نوع، وجودا خاصا، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللائقة، إذ لا نوع يتسلسل أزلا، لأنه من الممكنات<sup>(96)</sup>.

### 1/1/3 - شهادة الكون:

يظهر توظيفه لشهادة الكون على واجب الوجود في الاستعمال المتعدد لدليل النظام، ويتجلى تنوع الاستعمال في مواقف كثيرة من مؤلفاته<sup>(97)</sup>، كما يمكن أن يستشف أيضا من دليل التناغم والتنوع المنقول عنه أيضا<sup>(98)</sup>.



د. عمار جيدل

قال النورسي مبينا ما سبقت الإشارة إليه: "إن ما يبدو عيانا من مظاهر النظام والموازنة التامة... دليل واسع سعة الكون على الخالق القدير وشهادة صادقة قاطعة على وحدانيته سبحانه وقدرته المطلقة"<sup>(99)</sup>.

وقال أيضا: "أختام الوحدانية الواضحة على مجموع الكون، وعلى كل نوع فيه وعلى كل فرد فيه..."<sup>(100)</sup> فالنظام الرصين في الكون، والانتظام الرائع في المخلوقات كافة، والموازنة بين الموجودات... يشهد شهادة واضحة على الوحدانية"<sup>(101)</sup>.

وقال تحت عنوان النظام الكامل المقصود: "إذا تأملنا في أرجاء الكون نرى أن هناك نظاما كاملا وتناسقا بديعا مقصودا في جميع أجزائه... فنظام العالم هذا يشير إلى تلك السعادة الأبدية وحياة الخلود"<sup>(102)</sup>.

وعبر عن الفكرة نفسها أحيانا بالتناسق والتساند الوظيفي"<sup>(103)</sup>.

### 2/1/3 - شهادة الإنسان :

1- تعرف بشهادة الأنفس، والتي عبر عنها النورسي بأساليب شتى منها قوله: "تأمل فيما يحويه جسمك وأعضاؤك من حدود متعرجة والتواءات دقيقة... وتأمل فوائدها ونتائج خدماتها وشاهد فيها كمال القدرة في كمال الحكمة... فتلك الموجودات غير المحدودة تدل على واجب الوجود، وتشهد بألسنة لاتحد على وحدانيته وكمال قدرته"<sup>(104)</sup>.

2- استدل أيضا بدليل الافتقار حيث يقول: "ألا يدل هذا الافتقار، وهذه الحاجة في المخلوقات وهذا النمط من الإمداد والإعانة الغيبية على رب حكيم ذي جلال مدبر رحيم ذي جمال"<sup>(105)</sup>.

ووظف فكرة الافتقار في كثير من كتبه منها قوله: "تشاهد في الموجودات جميعها افتقارا إلى حاجات مختلفة ومطالب متنوعة لا تخص... فان شئت فتأمل في نفسك تجدها



### إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

مغلولة الأيدي إزاء كثير مما يلزم حواسك الظاهرة، أو يشيع رغباتك الباطنة فقس على نفسك نفوس جميع الأحياء... يظهر للعقل المنصف أنه سبحانه في منتهى الكرم والرحمة والربوبية والتدبير... " (106).

#### 3/1/3- شهادة أهل العلم:

استشهد بشهادات أهل العلم في كثير من كتبه منها ما أورده في مقام الاحتجاج على صدق النبي ﷺ (107)، وفي ذلك نقل لنا إجماع أهل العلم (الإجماع الثالث: هو تصديق الجماعة العظيمة من العلماء الأجلاء الذين لا يعدون ولا يحصون...).

ويركز في استشهاده على أقوال أفذاذ العلماء المتبحرين في علومهم والمحققين المدققين الذين نشأوا في أمته وسلكوا مسالك شتى ولهم في كل عصر آلاف من الحائزين على قصب السبق في كل علم... ليخلص بعدها إلى القول: "فتصديق هؤلاء جميعا له بالإتفاق وبدرجة علم اليقين إجماع أي إجماع" (108).

#### 2/3- الأدلة الكلامية:

اقتصرنا في بحث الأدلة الكلامية التي وظفها على نماذج لها علاقة مباشرة بالموروث الاستدلالي، فقد ركزنا على بيان إبطال الأفكار التالية: أوجدته الطبيعة، تشكل بنفسه، اقتضته الطبيعة.

#### 1/2/3- إبطال فكرة -أوجدته الطبيعة (109):

إسناد خلق الكون إلى الطبيعة بقولهم: "أوجدته الطبيعة" (110) ليست شيئا سوى إرجاع الخلق إلى اجتماع أسباب العالم، وقد أبطلها ببيان اشتغالها على محالات كثيرة، اجتزأ منها ثلاثة:



د. عمار جيدل

**المحال الأول:** أورده في مقام بيان استحالة تشكل ترياق لوحده بمقاييس مدققة حيث يقول: "إن صاحب هذا الوهم تصور إسناد خلق العالم إلى الطبيعة" هو أشقى أشقياء العالم، وأعظمهم حماقة، وأشد هديانا من هذيان مخمور فاقد للوعي، "وأرجع ذلك إلى تصور" إمكان أن يوجد الترياق نفسه من جراء تصادم القناني وسيلان ما فيها... ما أشد ما يثيره جنون الكفر من سخرية واستهزاء... وما أعظم ما يثيره حمقه من إشفاق ورتاء..."<sup>(111)</sup>.

**المحال الثاني:** إن إسناد الخلق إلى الأسباب المادية ليس له معنى سوى أن يكون لأغلب عناصر العالم وأسبابه دخل وتأثير في وجود كل ذي حياة<sup>(112)</sup>، والحال أن اجتماع الأسباب المتضادة المتباينة فيما بينها، بانتظام تام، وميزان خاص، (وبإتقان كامل في جسم مخلوق صغير هو محال ظاهر إلى حد يرفضه من له عقل بقدر جناح ذبابة، ويرده قائلاً هذا محال... هذا باطل... هذا غير ممكن...)<sup>(113)</sup>.

**المحال الثالث:** الموجود المنظم المنتظم المنسجم المتناسق في الشكل والمظهر و الأدوار، لا بد أن يكون صادراً عن مؤثر واحد<sup>(114)</sup>، لأنه لا يمكن إسناد خلق النظام والانتظام إلى تلك الأسباب المادية العمياء الصماء الجامدة الجاهلة الغليظة البعيدة المتضادة<sup>(115)</sup>.

### 2/2/3-إبطال فكرة "تشكل بنفسه":

ينطوي إسناد الخلق إلى التشكل الذاتي (بنفسه) على محالات كثيرة، اكتفى النورسي بذكر ثلاثة منها.

**المحال الأول:** إن إسناد هذا العلم والشعور والعقل إلى الذرة في جسمك خرافة خرقاء، وبلاهة بلهاء، لأنك أيها الإنسان موجود بلا شك وأنتك لست من مادة بسيطة وجامدة تأبى التغيير<sup>(116)</sup>.



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

**المحال الثاني:** إسناد خلق العالم إلى فكرة تشكل بنفسه لا يبعد عن إسناد خلق المصنوع المنظم الواحد المتناسق إلى جزئيا ته، وهو من أبعد المحال، إذ من المستحيل إسناد النظام إلى ذراته سواء كانت محددة أو غير محددة... ويختم مثل تلك السياقات بما يبين رأيه بوضوح: "محال في محال... يدرك ذلك كله من له مسكة عقل..."<sup>(117)</sup>.

**المحال الثالث:** إن لم يكن وجودك قد حقق بإرادة الواحد الأحد وكنت مطبوعا بمطابع الطبيعة والأسباب، فيلزِم عندئذ وجود قوالب بعدد ألوف الألوف من المركبات المنتظمة العاملة في جسمك... وحتى في هذه الحالة أفلا يلزم لصنع تلك القوالب قوالب أخرى بعددها لتصب وتسكب فيها إن لم يسند صنعها جميعا إلى الواحد الأحد... ذلك لأنها مفتقرة إلى صانع يصنعها فأفهم من هذا مدى سقم الفكر الذي يتضمن محالات بعدد ذرات جسمك... فيا معطل عقله... عد إلى عقلك وأنبذ هذه الضلالة المشينة<sup>(118)</sup>.

### 3/2/3- إبطال فكرة -اقتضته الطبيعة-:

نسج في بيان بطلانه على منوال ما سبق تقريره، واقتصر في إثبات استحالتها إلى محالات ثلاثة.

**المحال الأول:** يعتبر هذا النمط من التفكير أشد بطلانا من أي محال آخر، بل وأكثر خرافة منه، إن الذي يسند الصنعة الدقيقة الرائعة المتجلية حتى في أصغر مخلوق إلى الطبيعة الميتة، وخالقيتها الموهومة، يتردى بفكره هذا إلى أدرك دركات حماقة التي يربأ الحيوان بنفسه عن الوقوع فيها<sup>(119)</sup>.

**المحال الثاني<sup>(120)</sup>:** إن إسناد الخلق والإيجاد إلى الطبيعة معضل لا يقبله العقل بجميع المعايير المعرفية الموضوعية، لامتناع تصور العقل إسناد الخلق إلى كائنات لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، ولأن (التسليم بخالقية واجب الوجود سبحانه وتعالى لها أيسر



د. عمار جيدل

وأسهل من الناحية العقلية الموضوعية من أي تصور آخر، بل هي أوجب من غيرها لكل من له مسكة عقل).

**المجال الثالث<sup>(121)</sup>**: يعدّ تعلق الطبيعيين بالطبيعة إن كان ولا بد أنّها مالكة لوجود حقيقي خارجي فان هذا "الوجود" إنما هو صنعة صانع وليس هو الصانع قط، ونقش ولا تكون نقاشا، ومجموعة أحكام من حاكم حكيم وليس هو الحاكم أبدا... منفعة وليس فاعلا... مجموعة سنن وقوانين وليس قدرة و لا قادرا<sup>(122)</sup>.

#### 4/2/3- استثمار الخبرة الكلامية:

يظهر الاستثمار الأمثل للخبرة الكلامية في المصطلحات المركزية الموظفة في إبطال إسناد الخلق إلى الطبيعة (بشتى أصنافه) تدور جميع تلك الأدلة على تنوعها على مصطلح الخال الذي كثيرا ما ينهي به علماء الكلام من المتقدمين والمعاصرين مطارحاتهم. ويكاد يكون النورسي في هذا المقام ناسجا على وفق ما نقل عن العلامة مصطفى صبري، هذا إن لم يكن ناقلا عنه بشكل حرفي، إننا نجد عبارات تكاد تكون نفسها، وقد نجدها مكررة بأسلوب أو بآخر في كتاب الطبيعة، أنظر معي قول صبري: "استعاروا في إسناد الخلق" اسما لا مسمى له وعزوها إليه اتكالا منهم على عدم مفهوميته لعدم موجوديته، ومعنى هذه الاستعارة وهذا العزو أنه لا فاعل لتلك الأفعال عندهم وأنها أفعال من غير فاعل... "إلى أن يقول" وهنا تظهر عبارة النورسي المقتبسة بشكل جلي "فما معنى الطبيعة... اسم بلا مسمى، استعاروه فرارا من إسناد الحوادث إلى المادة التي ليس من شأنها أن تحدثها<sup>(123)</sup>.

ولعل الشيخين قد نهلا من مشكاة واحدة، إلا أن الغالب على استثمارات النورسي الاتسام بالمسحة الروحية الظاهرة، المعبر عنها في قالب تذكيري جعل من القصة أداة



### إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

رئيسة في بلوغ أهدافه الهدائية والإرشادية، وهو ما نفتقده في مؤلفات الشيخ مصطفى صبري.

#### 3/3- الخبرة الصوفية:

يركز في أدبياته على التوجهات التربوية عند الصوفية، والمعبر عنهم في المسلك الصوفي بأهل الكشف والحقيقة، لهذا سنركز على بيان تلك المصطلحات وعلاقتها بالبحث الصوفي عند النورسي.

#### 1/3/3- الصوفية والكشف:

يلخص النورسي المنهج الصوفي بوصفه (أحد الأصول للعروج إلى عرش الكمالات معرفة الله) فيمايلي (منهج مؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي)، وهو منهج وان كان متشعبا بالقرآن الكريم إلا أن البشر قد أفرغاه في صور شتى... فأصبح منهجا طويلا، احتوى مشاكل أبعدهته عن النقاوة من الشوائب والأوهام والشكوك<sup>(124)</sup>.

تبنى التزكية المبنية على الكشف بوصفه تجليا للحقائق في القلب الذي صفي بالله ولله، وقد أثنى النورسي على هذا النوع من المتصوفة وحاول التأسيس بأقوالهم لمعارف قلبية كثيرة منها قوله: (لقد اتفق العلماء والمحققون وأهل الكشف على أن العدم شر محض... والوجود خير محض...)<sup>(125)</sup>.

#### 2/3/3- الكشف كمصدر للمعرفة:

يبدو من الصيغ المنقولة عن النورسي الاعتداد بالمعرفة الكشفية، يتجلى هذا الحكم في التأسيس بأقوالهم المبنية على الكشف في مجال المعارف الإيمانية منها قوله: "لقد اتفق العلماء والمحققون وأهل الكشف..."<sup>(126)</sup>، إذ لو لم يعتد بأقوالهم وينزلها منزلة اليقين ما أوردها في مقام التأصيل والتأسيس للمعارف الإيمانية.





د. عمار جيدل

والنورسي في هذا السياق يشبه مذاهب الصوفية السنية وخاصة الغزالي الطوسي (ت505هـ) الذي اعتبر الكشف (أو الإلهام) من أبرز مصادر المعرفة اليقينية بعد الوحي، إذ يعتبر عطاء يفيض به الله تعالى على قلب الصوفي العارف إذا ما كان العارف يملك الاستعداد لهذا الكشف الوهبي... وهي معرفة مصحوبة ببرد اليقين... نور يغمر القلب فيتضح معه كل شيء.

إن الكشف كما قال الغزالي: "ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب" (127)، بمعنى ينتج يقينا كاملا يؤسس به المعارف المخصوصة عند علماء الحقيقة من أهل الكشف.

### 3/3- نتائج الكشف :

مشمولات الكشف كما هو بين من مناهج الصوفية تنسحب على جميع ميادين النظر الإنساني، هذه الميادين التي تنجلي فيها الدلالة اليقينية القطعية على الميثب الإيمانى المؤسس عقلا وشرعا بالقرآن الكريم.

تأسس الكشوفات على الخلو بالنفس في زاوية، يقتصر فيها من العبادة على الفرائض والرواتب مع إفراغ القلب عما سوى الله والله، مجموع الهم، مقبلا بفكرك على الله... مع حضور القلب وإدراكه، إلى أن ينتهي إلى حالة لو تركت تحريك اللسان لرأيت الحكمة جارية على لسانك لكثرة اعتياده، ثم تصير مواظبا عليه، إلى أن لا يبقى في قلبك إلا معنى اللفظ... بها يبقى المعنى المجرد حاضرا في قلبك على اللزوم والدوام... أنه رد الأمر فيه إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء، ثم استعداد وانتظار فقط (128).

إن الرغبة في الكشف تقتضي تصفية القلب لله مع استدامتها بالفكر والذكر، وهذا يلزم المؤمن فيها أن يرى طائعا أو على الأقل راغبا في الطاعة في كل حال، إلا أنها ليست



### إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

استقالة من الحياة رغبة في نجاة الذات، بل هي رغبة في نجاه الذات بالتحرك الفاعل في الحياة، سعي دائم فيها طمعا في مرضاة الله، تنكشف بإتباع مراسيمه المغلقات وتذلل الصعوبات، لهذا فمن أهم نتائج الكشف العملية اتخاذ موقف واضح من الحياة الإنسانية بجميع مكوناتها، موقف يناصر التصورات الفطرية التي جاء بها النبي ﷺ، انه موقف يرفض الاستقالة من الفعل الحركي بدعوى انتظار الكشف.

#### 4/3- المنحى التحليلي:

يظهر هذا التحليل في مجموع مؤلفات النورسي، ويتجلى في الميادين النفسية والمعرفية والاجتماعية المختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر، تمثل البعد الغائي من المكتوبات، وفي ذلك يقول مخاطبا أحد محاوريه: "تأمل في العلامات الفارقة الموجودة في وجه كل إنسان تلك العلامات التي تميزه عن كل واحد من أبناء جنسه، وأمعن النظر فيما أودع فيه -بحكمة دقيقة- من حواسّ ظاهرة ومشاعر باطنه...آلا يثبت ذلك أن هذا الوجه الصغير آية ساطعة للأحادية؟".

ويستمر في السياق نفسه مؤكداً للتحليل الشخصي "فيا أيها المنكر...أتقدر أن تحيل هذه العلامات والأختام التي لا تقلد، أو أن تسند الآية الكبرى للأحد الصمد الساطعة في مجموعها...إلى غير بارئها"<sup>(129)</sup>.

إنه بهذا الأسلوب يدعو العقلاء (على تنوع تخصصاتهم ومستوياتهم المعرفية) إلى التحليل والقراءة التحليلية للآيات الكونية الظاهرة والباطنة بغرض استثمارها في الذكر والتذكير وتوجيه العقلاء إلى التفكير.



### 1/4/3 - التحليل الفلسفي:

لا يخلو تحليله الشخصي سواء كان منقولاً أو منتجاً ذاتياً من القراءة الفلسفية، (رغم وصمه للمعرفة المستفادة وفق مسلك الفلاسفة بأوصاف تبين عدم رضاه بها) (إنها معرفة مشوبة بالشكوك والشبهات والأوهام)<sup>(130)</sup>.

ورغم موقفه المنقول فقد استثمر التحليل الفلسفي في التأسيس للمعارف القرآنية، فقد استشهد بدليلي العناية والاختراع المستنبطين من القرآن الكريم وفق مسلك ابن رشد الحفيد<sup>(131)</sup>.

إن الصلة بين النورسي وابن رشد الحفيد جلية واضحة لا نحتاج في إثباتها إلى كبير بحث واستقصاء، إذ يكاد يكون تعبيرهما واحداً في التعبير عما حواه القرآن الكريم من الأدلة على إثبات واجب الوجود، لكن النورسي تميّز عن ابن رشد بالابتعاد عن الانتقاص من منهج الأشاعرة في إثبات وجود الله.

بل جاوز ذلك إلى استثمار بعض مصطلحاتهم حيناً وآرائهم حيناً آخر على خلاف ابن رشد الذي كرس جهده للإتيان على مسلك الأشاعرة من الأساس<sup>(132)</sup>.

### 2/4/3 - التحليل الكلامي:

تمتزج في أدبيات النورسي التحليلات الفلسفية والكلامية، إذ يكاد يكون تحليله الفلسفي كلامياً، موافقاً لمشرب المتكلمين الجامعين بين الحكمة والكلام، وخاصة لدى كثير من المحققين، كما تتجلى الخاصية نفسها عند العلامة مصطفى صبري في كتابه موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين.

وتبدو الملاحظة المشار إليها في كتاب حقيقة التوحيد الذي يلوح منه التحليل الكلامي المفلسف حيث يقول: "البرهان الثاني: وهو كتاب الكون نعم... إن حروف هذا الكتاب



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

ونقاطه فردا فردا أو مجموعة، يتلو كل بلسانه الخاص «وان من شيء إلا يسبح بحمده»  
وبين وجود الخالق العظيم وحدانيته... فكل ذرة في الكون تتردد بين إمكانات واحتمالات  
غير متناهية في صفاتها وذاتها وأحوالها ووجودها إذ بها تنتعش وتسلك طريقا معيناً،  
ويتّصف بصفة معينة، وتتكيف بحالة منتظمة، وتسير وفق قانون مسدد...» (133).

### 3/4/3- التحليل اللغوي:

اعتمد التحليل اللغوي في الاستدلال على حجية القرآن الكريم (فقد أظهر بلاغة منذ  
العصور القديمة إلى زماننا، حتى أنه حط من قيمة) المعلقات المشهورة وهي قصائد أبلغ  
الشعراء، وقد ورد عنه في السياق نفسه "وكذا عندما سمع أعرابي أديب الآية (فأصدع بما  
تؤمر) حرّ ساجداً، فقيل له: أسلمت؟ قال: لا، بل سجدت لبلاغة هذه الآية).

وقد احتج في المقام نفسه باتفاق آلاف من أئمة البلاغة وفحول الأدب، أمثال: عبد  
القاهر الجرجاني، والسكاكي، والزمخشري، على بلاغته التي لا تضاهي (إن بلاغة القرآن  
فوق طاقة البشر لا يمكن أن يدرك).

ويستمر في التحليل اللغوي ليبيّن من خلاله عجز البلغاء العبيدين تاركين السبل  
القصيرة وهي المضاهاة والمعارضة وإتيان سورة من مثله، سالكين السبل الطويلة، سبل  
الحرب التي تأتي بالويل والدمار على الأرواح والأموال، مما يثبت اختيارهم هذا، انه لا  
يمكن المسير في تلك السبل القصيرة.

وهكذا دواليك إلى أن يقول: "ففي متناول الأيدي ملايين الكتب العربية التي كتبها  
أولياء القرآن بشغف اقتباس أسلوبه وتقليده أو كتبها أعداؤه لأجل معارضته ونقده، فكل  
ما كتب، ويكتب، مع التقدم والرقي في الأسلوب الناشئ من تلاحق الأفكار لا يمكن أن  
يضاهي أو يداني أي منها أسلوب القرآن".



د. عمار جيدل

ويجاوز ذلك إلى بيان إدراك الرجل العامي لفضله وغلبته، إذ لو استمع لما يتلى منه لأضطر إلى القول: "إن هذا القرآن لا يشبه أيا من هذه الكتب، وليس في مرتبتها".  
ليخلص بعد تلك الرحلة العلمية للمرافعة عن القرآن الكريم إلى نتيجة مقررة متجددة: "لن يستطيع إنسان كائنا من كان، ولا كافر، ولا أحمق أن يقول: إن بلاغته أسفل الجميع، فلا بد إذا أن مرتبة بلاغته فوق الجميع" (134).

#### 4/4/3- التحليل النفسي:

إن المعتد بالقصة الاجتماعية في دلالتها المتنوعة يجعل من التحليل النفسي أداة مركزية في بلوغ غاياته - الهدائية، وتظهر هذه الأحكام المقررة من نماذج تذكيرية كثيرة منها قوله فيا نفسي المغرورة (والخطاب موجه إلى غيره) اعلمي: "أنك أنت ذلك السائح البدوي، هذه الدنيا الواسعة هي تلك الصحراء، وأن فقرك وعجزك لا حد لهما، كما أن أعدائك وحاجاتك لانهاية لهما، وما دام الأمر هكذا، فتقلدي اسم المالك الحقيقي والحاكم الأبدي لهذه الصحراء، لتنجي من ذل التسؤل أمام الكائنات، ومهانة الخوف أمام الحادثات" (135).

لاشك أن أمثل أسلوب للتغلغل في دواخل النفس هو ما اختاره العلامة النورسي من خلال جعل المتكلم نفسه مجال التذكير والميدان المطالب بالتغيير، ليتسنى للخطاب أن يؤتي أكله في قلوب السامعين أو المذكرين من خلال تذكير الذات.

ويتجلى الهدف النبيل في كثير من سياقات البحوث التذكيرية التي تكاد تكون السمة العامة لمؤلفاته<sup>(136)</sup>، ورد عنه في مقام يبين الرغبة الملحة في الولوج إلى أعماق النفس "يا نفسي: لا تقولي أبدا بأن الزمان قد تغير، وأن العصر قد تبدل، وأن الناس قد انغمسوا في الدنيا وافتتنوا بحياتها، فهم سكارى بهموم العيش... ذلك لأن الموت لا يتغير، وأن الفراق



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

لا ينقلب إلى البقاء فلا يتغير أيضا، وأن العجز الإنساني والفقر البشري هما أيضا لا يتغيران بل يزدادان، وأن رحلة البشرية لا تنقطع... ذلك لأن كل واحد من الناس لن يصحبك إلا على عتبة القبر... لا غير" (137).

### 4/4/3- التحليل السنني:

اخترنا مصطلح السنن للتعبير عن حقيقة معرفية تعبر عن موقف عقدي من خالقية الكون لله تعالى، فهو بمثابة فكرة معبرة عن الرؤية التوحيدية للعالم، وهي بديل لمصطلح الطبيعة الذي يحمل بين طياته موقفا عقديا لا ينسجم مع التصور التوحيدي للكون ونشأته، يتجلى هذا الاختيار العقدي في أدبيات العلامة النورسي كما يتجلى أيضا وبشكل أوضح عند مصطفى صبري.

إن المصطلحين الطبيعة والسنن وان كانا يحملان معنى واحدا لا يخرج عن فكرة النظام في آخر تحليل لهما، إلا أنهما يفترقان من حيث الخلفية العقدية والفكرية لكل منهما، فالطبيعة كما بيناه آنفا عندهما (النورسي، وصبري) اسم لا مسمى له، على خلاف ما يدل عليه لفظ السنن الوارد في كتاب الله، وهي في حقيقة أمرها تدل على تقيدها بنظام مسبق يؤسس للثبات في السنن الكونية سواء تعلق بما حول الإنسان من نبات وحيوان وأفلاك أو تعلق بالفعل الإنساني بجميع مكوناته النفسية والاجتماعية والسياسية والفكرية... بل وتجاوز ذلك فسحبها على سنن الأداء الحضاري للأمم سواء في منحناه المتصاعد أو المتنازل.

قال النورسي مؤكدا للمعنى الذي أشرنا إليه: "فكما أن الشريعة الأولى عبارة عن قوانين معقولة، فإن الشريعة الثانية أيضا عبارة عن مجموع القوانين الاعتبارية، والتي تسمى -



د. عمار جيدل

خطأ- بالطبيعة فهذه القوانين لا تملك التأثير الحقيقي ولا الإيجاد، اللذين هما من خواص القدرة الإلهية" (138).

ويرى اهتمامه بالتحليل السنني حين الحديث عن شهادات الموجودات من جهة دلالة ترتيبها السنني على وجود الله، فقد ذكر تحت عنوان براهين الوجود شهادات كثير من خلقه منها السماء وجو السماء، وكرة الأرض، والبحار والأنهار، والأشجار والنبات، والطيور والحيوانات، و... (139).

#### رابعاً: طبيعة الإثبات ومميزات المنهج.

يتناول هذا القسم عنصرين أساسيين، أحدهما نبين من خلاله طبيعة الإثبات ويتناول الثاني مميزات المنهج.

#### 1/4- ميدان إثبات العقائد :

حدّد النورسي ميدان الإثبات بشكل جلي لخصه في قوله: "إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة"، ويؤكد هذا المعنى في نص آخر عنه: "رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له وهي لمعة برافة من لمعات إعجازه المعنوي ورشحة من رشحات ذلك البحر العظيم، كما أنّه شعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز العلم وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته..." (140).

إن العنوان المنقول عنه ومن أدبياته لا يفسر الغموض المتضمن في العنوان، فهل كانت رسائل النور مبرهنة على العقائد الإيمانية فقط؟ أم أنها كانت أوسع من ذلك، إن الدراسة التحليلية لمحتوى الرسائل يدل بنفسه من غير تكلف بحث أن النورسي يستعمل مصطلح العقائد الإيمانية بما هو أوسع من استعمال المتكلمين والفلاسفة، فنراه يضم إليها (العقائد) مباحث العبادات فقهية مركزاً في بيانها على الجوانب الوظيفية، كما نراه



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

يلحق مباحث تربوية هي أقرب إلى البحث الصوفي منها البحث العقدي...<sup>(141)</sup>، هذا من جهة الموضوع أما من جهة صلتها بالأدلة النقلية والعقلية فسنفرد لها مباحث خاصة.

### 1/1/4- صلته بالمعجم النقلية:

تعتبر رسائل النور محاولة لتفسير القرآن الكريم تفسيراً عصرياً، وقد عبّر مترجمنا عن هذه الفكرة (في سيرته الذاتية) حيث قال مستفسراً ومجيباً: "وإذا قيل: كيف تعد رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم مع أنها لا تشبه التفسير المتداولة؟".  
فالجواب: التفسير نوعان:

الأول: هو تفسير اللفظ والعبارة والجملة في الآية الكريمة.

والآخر: "إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن... وقد ثبت بشهادة أئمة من العلماء المحققين أن رسالة النور هي من هذا القسم من التفاسير، بل من أئمة وأسطعته وأكملته وأكثره قيمة"<sup>(142)</sup>.

استعمل الحجة القرآنية في مقام التأسيس للعقائد والعبادات<sup>(143)</sup>، فأصل القرآن لمباحث العقيدة كلها فلم يفرق بين مباحث وأخرى، واعتمده في الاستدلال على الإلهيات كما وظفه في النبوات والسمعيات بل وجاوزه إلى استنطاق الآيات باستخراج أسرار العبادات<sup>(144)</sup>.

### 2/1/4- صلته بالمعجم العقلية:

نلاحظ شيوع البحث العقلي الوظيفي في جميع مؤلفاته، ويمتزج فيه الاهتمام الكلامي بالاهتمام الفلسفي الممزوج أحياناً بالبحث السنني بوصفه أصفى الأدلة وأيسرها فهماً، إن المتفحص لمعجم المصطلحات العقلية المستنبطة من كتبه ومقالاته يدرك بجلاء درجة الاهتمام بالحجج العقلية في جهده التأسيسي.





د. عمار جيدل

انظر معنا إلى المحتوى العقلي الظاهر لعينة من والمصطلحات التي يكثُر استعمالها: دليل الصنعة، ودلالة الفطرة، وبرهان الحياة، وبرهان الموت، والوجوب والإمكان، ودليل التمانع، ودليل منح الحياة، والنظام، وبرهان الشعور ودليل التساند والتعاون<sup>(145)</sup>.

#### 2/4- مميزات المنهج:

#### 1/2/4- الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

ناظر النورسي عن القرآن الكريم وعقائده الإيمانية في جو مشحون بمخصامه الدين الإسلامي في عقائده وعباداته، جو يظهر فيه أثر الآخر جليا واضحا سواء تعلق الأمر بالفكر أو بالتربية أو بالتوجهات الحضارية الطارئة على الأمة.

يستدعي العمل الفكري التذكيري في مثل هذا الجو الحيطه والحذر بمعنييه الفكري والنفسي، إذ يكون المنافع عن الدين ملزما بمراعاة عقليات ونفسيات المخاطبين الجدد، لأن الاهتمام بعقليات المخاطبين والإكراهات الواقعية المسلطة عليه فكريا واجتماعيا دليل واضح على المعاصرة التي تقتضي في المفهوم الإسلامي الاستفادة من منتجات الآخر بوصفها عوامل لا هوية لها، أما إذا كانت مؤثرة تأثيرا سلبيا في أصالة الأمة فيجب الابتعاد عنها أو إعادة صياغتها بما يخدم الذات الحقيقية للأمة.

لعل من أبرز ما يؤكد حكمنا قولته المشهورة: (ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل الفنون المدنية - العلوم الكونية الحديثة - فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة وابتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميمة في ذلك).

وقال أيضا: "إن ما أنجزته هذه المدنية (الغربية) الحاضرة من الخوارق نعم ربابية تستدعي شكرا خالصا من الإنسان على ما أنعم عليه، وتقتضي منه كذلك استخداما ملائما لها لفائدة البشرية ومنفعتهم... ويستمر في السياق نفسه مبينا ما يقول بمثال حي تتجلى



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

فيه فكرة وجوب إخضاع منتجات العصر إلى أصالة الأمة: "الراديو نعمة إلهية عظيمة على البشرية، فبينما تقتضي منا شكرا معنويا عليها - وذلك باستخدامها لصالح البشرية كافة- نرى أربعة أحماس استعمالاتها تصرف في إثارة الأهواء النفسانية، والى أمور تافهة لا تعني الإنسان في شيء<sup>(146)</sup>.

### 2/2/4- الجهد النقدي:

يتأكد المنحى النقدي في فكر النورسي من خلال ما أثبتناه من نصوص حاولنا استنطاقها بغرض توضيح موقفه من الخبرة المعرفية والتربوية والفلسفية الإسلامية، لهذا لست ملزما موضوعيا بإعادة كتابة ما سبقت الإشارة إليه لهذا سنكتفي في هذه العجالة ببيان موقفه من الفلسفة الغربية والمدنية الغربية.

ولكن قبل ذلك لابد من بيان أهم سمات المنهج النقدي عند النورسي، لم يمارس النقد من أجل النقد بل كان ديدانه في كل ذلك التفتيش عن كل ما من شأنه أن يكون حجة إضافية للمسألة التي رافع عنها (حقائق الإيمان)، لهذا يمكن أن نقول دون أدنى شك أنّ جهده النقدي كان عملا انتخابيا لا يرفض أفكار المتقدمين رفضا كليا ولا يقبلها برمتها، بل يعمل فيها عقله مميزا ما يفيد في مرافعته عما لا يفيد، انه صاحب جهد فكري يتميز برفض البداية الصفريّة من جهة و الاستثمار الانتخابي للخبرة المعرفية الإسلامية (وقد بينا ذلك حين الحديث عن موقفه من الخبرة المعرفية والتربوية الإسلامية). ذكر في سياق بيان تفوق تلميذ القرآن على تلميذ الفلسفة فقال: إن تلميذ الفلسفة يفرّ من أخيه آثاره لنفسه، و يقيم الدعوى، أما تلميذ القرآن فانه يرى جميع عباد الله الصالحين - في الأرض والسموات - إخوانا لهم<sup>(147)</sup>.



د. عمار جيدل

وورد عنه في مقام نقد الغربيين (فيا أسفي، ويا ويل لمن ضلّ بطواغيت الأجنبي وعلموهم المادية الطبيعية، ويا خسارة أولئك الذين يقلّدونهم تقليدا أعمى، ويتبعونهم شبرا بشبر وذراعا بذراع) (148).

### 3/2/4- التركيز على البعد الوظيفي:

رسالة الإسلام التي تعتبر حقائق الإيمان محورها ومحركها الأساسي ذات وظيفة تربوية (بأبعاد متنوعة تنسحب على جميع ميادين الفعل الإنساني) محددة من حيث غايتها الكبرى (عبادة الله)، لهذا كانت ومازالت عنصرا جوهريا في التشريع بوجه عام، فما من شأن من شؤون حياة المسلم إلا وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بتلك الحقائق الإيمانية.

قال النورسي: "إن غاية العبادة امتثال أمر الله ونيل رضاه، فالداعي إلى العبادة هو الأمر الإلهي ونتيجتها نيل رضاه سبحانه، أما ثمراتها وفوائدها فهي أخروية، إلا أنه لا تنافي في العبادة إذا منحت ثمرات تعود فائدتها إلى الدنيا" (149).

ويشير في سياق آخر إلى البعد الوظيفي المرتجى من العبادة التي تتعلّق تعلقا مباشرا بحياة المسلم إذا أداها على الوجه الشرعي الأكمل (ما أخف أداء الصلوات الخمس واجتناب الكبائر السبع وما أريحها وأيسرها أمام عظم فوائدها ونتائجها وثمراتها وضرورتها) (150).

ويزيد المسألة وضوحا فيقول: "إن القرآن الكريم قد بدّل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلا نور الآفاق وملاها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلابا عظيما سواء في نفوس البشر وفي قلوبهم، أو في أرواحهم وفي عقولهم، أو في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية، وأدام هذا الانقلاب وأداره" (151).



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

ويمكن أن نؤكد مسحة البعد الوظيفي على جميع أعماله في جوانب عدّة نجتزئ منها التركيز على الأبعاد الشخصية ونثني عليها بالبعد النفسي، ثم البعد الاجتماعي لنتقل بعدها إلى البعد الاقتصادي، ونختم النقطة الرابعة بالبعد الثقافي والفكري.

### 1/3/2/4- الأبعاد الفردية الشخصية:

لا نكاد نجد صفحة من صفحات كتبه خالية من الاهتمام بالبعد الفردي والشخصي، وسرد كل ذلك يقتضي منا عملاً أوسع وهو مالا تسعفنا فيه طبيعة الدراسة، لهذا اكتفينا ببعضها على أمل العودة إلى الموضوع بالتفصيل في لاحق الأيام (إن شاء الله). ورد عنه تحليل رائع للصوم<sup>(152)</sup>، يستشف منه الاهتمام بالبعد الوظيفي الفردي المتوخى منه إن أتى المؤمن بالصيام وفق ما هو مطلوب شرع، بمعنى من أراد الاستفادة من الثمار المرجوة يجب أن ياتمر بأمر الله وينتهي عما نهاه. شرع الله الصوم ليسمو الناس على المشاغل الحيوانية السافلة، فالكمال في ذلك الصوم:

- جعل جميع حواس الإنسان كالعين والأذن والقلب والخيال والفكر على نوع من الصوم، كما تقوم به المعدة، بمعنى تجنب الجميع المحرمات والسفاهات ومالا يعينها من أمور، وسوقها إلى العبودية الخالصة.
- يروض الإنسان لسانه على الصوم من الكذب والغيبة والعبارات النابية.
- يربط اللسان بتلاوة القرآن الكريم وذكر الله سبحانه بحمده والصلوات والسلام على الرسول والاستغفار...



د. عمار جيدل

- يغضّ بصره عن المحرمات، ويسدّ أذنيه عن الكلام البذيء، ويدفع عينه إلى النظر بعبرة وأذنه إلى سماع كلام الحق والقرآن الكريم، وبذلك يجعل سائر حواسه على نوع من الصيام.

- المعلوم أن المعدة التي هي مصنع كبير جدا إن عطّلت أعمالها بالصيام فإن تعطيل المعامل الصغيرة الأخرى يكون سهلا ميسورا.

### 2/3/2/4- البعد النفسي:

يتوخى النورسي البعد النفسي في مجموع جهوده، ولعله أهم ما يركّز عليه من الأبعاد، وللبعد النفسي من الناحية الموضوعية في جهوده عدّة مضامين، أبرزها العمل على تغيير الذات ورفض السلبية والرجاء في الله سبحانه وتعالى.

- تهدف الحقائق الإيمانية إلى تغيير الإنسان بوصفه موضوع التغيير أولا ووسيلته ثانيا، تتلخّص غايتها في تغيير نفس المؤمن وفق مراد الله، ثم السعي إلى تغيير ما حول الإنسان من مجتمعات إنسانية أو حيوانية أو غيرها بما يستجيب لما تمثله من مبادئ في تغيير نفسه.

جعل النورسي هذا الهدف أساسيا في مجموع مؤلفاته، إذ يكاد أن يكون كلمة السرّ في كثير من كتبه، أنظر كتابه كلمات صغيرة<sup>(153)</sup>.

- يشير المضمون القرآني إلى وجوب رفض السلبية باتخاذ مواقف صريحة من أحداث العصر، إذ يعتبر المضمون الإيجابي للتقوى، في مثل قوله تعالى: ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾، وقد تمثّل الأستاذ النورسي هذه الغاية وتحرك في فلكها، ترى هذه الملاحظة في كثير من مؤلفاته، كما ترى أيضا في مجموع ما كتب في ترجمته، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما كتبه الأستاذ



### إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

حمزة المكسي وترجمه إلى العربية الأستاذ طاهر الشوشي<sup>(154)</sup>، وما كتبه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي تمهيدا لبعض كتب النورسي المترجمة إلى العربية<sup>(155)</sup>.

وتبيّن مجمل الفكرة الآنفة بما ذكره أستاذنا في بيان أهمية صيام رمضان في قسم فرعونية النفس البشرية، حيث يقول: "صيام رمضان المبارك ينزل ضربة قاضية مباشرة على الناحية الفرعونية للنفس، فيكسر شوكتها مظهرًا لها عجزها وضعفها، وفقرها، ويعرّفها عبوديتها... ذلك أن النفس لا تريد أن تعرف ربها، بل تريد أن تدّعي الربوبية بفرعونية طاغية، فدواؤها المركزي الصوم"<sup>(156)</sup>.

#### 3/3/2/4- البعد الاجتماعي:

لا تريد الحقائق الإيمانية التأسيس لإيمان فردي شخصي لا صلة له بغيره من الناس، لأن الإيمان في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ ليس قضية فردية بمعناها السليبي، بل هي قضية شخصية بمضمون اجتماعي إذا تعطلّ ترتّب عليه تعطلّ الأجر والثواب أو بعضه على الأقل، تتجلى هذه الفكرة في العبادات الفردية العينية بشكل واضح، أما في العبادات ذات المضمون الاجتماعي فالأمر أوضح من أن يوضّح، مثل الزكاة، والصدقات، والتركات، وأبواب الخير كلها.

يبين الفكرة الآنفة الذكر في العبادات العينية الفردية الصلاة التي قال فيها المولى سبحانه وتعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ العنكبوت، الآية 45، وروي عن النبي أنه قال: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له". (رواه أحمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفاً، ورواه ابن جرير عنه مرفوعاً).

يتبيّن من الآيّة والحديث أن الصلاة وإن كانت عبادة فردية فإن لها أبعاداً اجتماعية ظاهرة، والتي بتعطّلها قد يتعطّل الأجر المرجو منها.



د. عمار جيدل

العبادة الفردية - الصلاة - الأثر الاجتماعي - ترك الفحشاء والمنكر - يؤكد انصباغ جهد النورسي بالبعد الاجتماعي تصريحه الذي ذكره في ثنايا حديثه عن الصوم: "إن حكمة واحدة للصوم من بين حكمه الغزيرة المتوجهة إلى الحياة الاجتماعية للإنسان هي: أن الناس قد خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة، وعليه يدعو الله سبحانه الأغنياء لمد يد المعاونة لإخوانهم الفقراء، ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعورا كاملا حالات الفقر الباعثة على الرأفة، ولا يمكنهم أن يحسوا إحساسا تاما بجوعهم، إلا من خلال الجوع المتولد من الصوم... لذا تصح الشفقة على بني الجنس هي إحدى الأسس الباعثة على الشكر الحقيقي" (157).

#### 4/3/2/4 - البعد الاقتصادي:

يعتبر صاحبنا الاقتصاد من أهم الأبعاد الوظيفية للحقائق الإيمانية، إذ جعله اللفظ المركزي في رسالة الاقتصاد، منها العناوين الفرعية التالية: الاقتصاد شكر معنوي، الاقتصاد انسجام مع الحكمة الإلهية، الاقتصاد سبب العزة، الاقتصاد سبب البركة واللذة، الاقتصاد لا علاقة له بالخسة، القناعة كنز لا يفنى.

قال النورسي: "الاقتصاد الذي هو من الأخلاق النبوية السامية بل هو من المحاور التي يدور عليها نظام الحكمة الإلهية المهيمن على الكون لا علاقة له أبدا بالخسة التي هي مزيج من السفالة والبخل والجشع والحرص، بل ليست هناك من رابطة بينهما" (158).

وورد عنه أيضا: "إن المقتصد لا يعاني من غائلة العائلة كما هو مفهوم الحديث الشريف "لا يعول من اقتصد" أجل هناك من الدلائل القاطعة التي لا يحصرها العَدُّ بأن الاقتصاد سبب جازم لإنزال البركة، أساس متين للعيش الأفضل أذكر منها ما رأيته في نفسي" (159).



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

وذكر في ثنايا بيان البعد الاقتصادي المستفاد من حقائق الإيمان حكمة نورانية تستحق الكتابة بماء الذهب لدلالاتها العميقة وتأثيرها السحري في كل من ألقى السمع بشرط أن يكون متحررا من جميع المكبلات الفكرية، إنها الكلمة التي صدرت من مشكاة أهل التقوى والصلاح، إنها كلمة الإمام أبي حنيفة النعمان: "لا إسراف في الخير ولا خير في الإسراف" (160)، والكلمة موصولة بقول النبي ﷺ: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بالعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (رواه مسلم عن أبي هريرة).

### 5/3/2/4- البعد الثقافي والفكري:

يؤسس جهده التذكيري الاستدلالي للبعد الثقافي والفكري من زاويتين، إحداهما تبين الجانب الإنشائي البنائي من حقائق التوحيد، وثانيتها يؤصل للجانب الهدمي النقدي في المطارحات الفكرية، هذا من جهة المسألة الاستدلالية من حيث هي، أما من حيث متعلقاتها فإنها تكسب من دخل رحابها بعقل حر ونفس متحررة رؤية ثقافية تجعل من الهم الوظيفي أمرا أساسيا في الأداء الفكري والاجتماعي...

وتؤكد نتائجنا بالقراءة المعرفية التحليلية لمجموع استدلالاته أولا، وبيان تأثيرها في صياغة عقلية المسلم ثاني، واكتشاف أهميتها في الإرشاد إلى الوحدة الثقافية للمسلمين الصادقين (أولئك الذين يحركهم الهم الحضاري لا الهم الجزئي).

### أولا: الجانب البنائي (الإنشائي):

رکز النورسي على التأسيس العلمي لحقائق الإيمان مقتفيا في ذلك حجج القرآن الكريم ومستثمرا خبرات أسلافه... ودافع عن فكرة الأساس العلمي للمعارف الإيمانية دفاعا يشكر عليه ويحفظ له يوم القيامة (161)، توخى فيه خلاله الوضوح والبساطة مع المحافظة على ميزة العلمية، فكان جهده في غاية البساطة من حيث عباراته، وفي أقصى





د. عمار جبدل

درجات الدقة من حيث صياغته، وهو جهد يرسخ في عقل السامع أن حقائق الإيمان في غاية الوضوح وفي أعلى رتب الحجية، مما يزيد في اعتزاز المؤمن بدينه من جهة ويدعو إلى مزيد من الاحتجاج الإبداعي لحقائق الإيمان.

### ثانياً: الجانب المدمي (النقدي):

يرسخ البحث العقدي وفق مسلك النورسي في جانبه النقدي، الدعوة الصريحة إلى ضرورة استصحاب النزعة النقدية أثناء قراءة كل مجهود فكري بشري، وخاصة تلك الجهود التي يراد بها تقويض أركان الإيمان، ترى هذه الصبغة في كل صفحة من صفحات مؤلفاته، ولعلها أكثر ظهوراً في كتابه "رسالة الطبيعة"<sup>(162)</sup>، كما تظهر أيضاً بنفس المستوى أو قريبة منه في كتابه "حقائق الإيمان"<sup>(163)</sup>.

### ثالثاً: الوحدة الثقافية بين المسلمين:

جعل النورسي من القرآن الكريم نبراسه وهاديه، بل ومصدره الأول والأخير في تأسيس جميع المعارف الإيمانية اليقينية القطعية التي جعلها حاکمة على المنتج الفكري البشري في مجالاته، وللاهتمام بالقرآن الكريم من الناحية التأصيلية بعده الثقافي الظاهر إذ يمثل دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، لهذا كانت الدعوة إلى استنطاقه معرفياً دعوة إلى الرجوع إليه، مما يمكن للوحدة الفعلية بعد هذه الوحدة النظرية (خاصة في جو أكثر فيه التشكيك في الحقائق الإيمانية المستنبطة من القرآن الكريم).

إن لهذا الاختيار الحضاري ما يبرره من الناحية الموضوعية الصرف، بالإضافة إلى يقينية مصدره (الله)، فهو كما قال النورسي: "انظر إلى درجة رحمة القرآن الواسعة وشفقته العظيمة على جمهور العوام ومراعاته لبساطة أفكارهم ونظرهم غير الثاقب إلى أمور دقيقة،



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

أنظر كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السموات والأرض، فيقرئهم الحروف الكبيرة التي تقرأ بكمال السهولة<sup>(164)</sup>.

### الخاتمة:

انتهى بنا المطاف بعد جولة علمية هادئة وهادفة في بعض مؤلفات النورسي إلى خلاصة العمل المنجز، فقد تبين لنا مما عرضناه أننا أمام شخصية علمية عملاقة، امتزجت فيها عناصر الأصالة ممثلة في الروح القرآنية المهيمنة على فكره وقلبه من جهة والمعاصرة ممثلة في الاستفادة من الخبرات الثقافية من جهة أخرى.

تبين لنا من هذه الرحلة العلمية مع النورسي في بعض مؤلفاته أننا مع شخصية علمية متميزة جمعت إلى الغوص في القرآن ذكاء وقادا واطلاعا لا نظير له، فقد كان يستقي المعارف من السنة المطهرة والخبرة المعرفية الإسلامية بالإضافة إلى القرآن الكريم، وجاوزها إلى الاستفادة من الخبرة الإنسانية، وقد توخى حين تعامله مع المصادر المشار إليها التركيز على البعد الوظيفي للإسلام.

### تميز عمله المنهجي بمجموعة من الميزات موجزا:

- 1- التأصيل لمسائل العقيدة بما حوته المصادر الإسلامية الأصيلة: القرآن ثم السنة ثم الخبرة المعرفية الإسلامية.
- 2- رفض البداية الصفرية التي تبنى أساسا على إلغاء الخبرة المعرفية الإسلامية.
- 3- العمل الانتخابي في جهوده التذكيرية والاستدلالية، فقد استفاد من علماء الكلام والمتصوفة وعلماء الغرب، ركز فيها على استثمار الصالح وإهمال الطالح، وقد تلخص معيار الصلاح و الطلاح في درجة ملائمة الفكرة للواقع الفكري والاجتماعي المعيش مع عدم مخالفتها للنصوص القطعية الثبوت والدلالة.



د. عمار جبدل

4- الإفلات من قبضة القراءة التاريخية للعقيدة الإسلامية، وهي قراءة هيمنت لردح طويل من الزمن، لهذا عدت رسائل النور عملا تجديديا رائدا في العصر الحديث.

5- هيمنة النزعة الوظيفية على مجموع أعماله، فقد كان هدفه الأساسي الرجوع إلى القراءة الهدائية للقرآن الكريم.

وبهذا العرض يتبين لنا سلامة فرضيات البحث فقد كان قرآنيا إلى النخاع موسوعيا يستثمر الخبرة الإسلامية بل والإنسانية غير آبه بالوعاء الذي خرجت منه، كما يحق فيه اسم بديع الزمان من خلال دعوته إلى القراءة الهدائية للقرآن الكريم، متجاوزا بذلك عقلية القراءة التبركية أو التاريخية التي تجعل الفكرة الزمنية (من خلال جهود المتقدمين أو المتأخرين) حاکمة على غير الزمني (الوحي بمحتواه القطعي الدلالة)، و الذي كان من المفروض أن يكون محكوما به لا حاکما عليه، لأنه يمثل أنوارا كاشفة يستمد منها الجهد البشري قوته حين التعامل مع الحياة وشؤونها.

وأخيرا نتمنى أن تتاح لنا فرصة أخرى لقراءة تفصيلية لفكر النورسي، وفي هذا الصدد يحسن بنا الإشارة إلى بعض الجوانب المهمة في أعماله، لعل أبرزها الدراسة التحليلية للأبعاد النفسية في مؤلفاته، والرؤية الحضارية في مؤلفاته، والمسائل المنهجية في كتاباته: منهج التأصيل في دراسة العقيدة، وأصالة المنهج عند النورسي، والإكراهات الواقعية وأثرها في جهود النورسي.

## الهوامش

94 . سببینه لاحقاً.

95 . حقيقة التوحيد. ص 170-171.

96 . المرجع السابق. ص 171-172.

97 . المرجع السابق. ص 123، 59، ... النوافذ 58، 54، 47، 44، 39، 35، 34، 19... الملائكة. 37

[مجلة كلية أصول الدين - الصراط] السنة الثانية، العدد الثالث، جمادى الآخرة 1421هـ، سبتمبر 2000م. - 72



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

- 98 . حقيقة التوحيد. ص. 83
- 99 . النواخذ. ص. 91
- 100 . حقيقة التوحيد. ص. 99
- 101 . المرجع السابق 37، 35، 30، 29، 25، 23، 21، ... النواخذ 39، 35، 34، 19، ...
- 102 . الملائكة. ص. 37
- 103 . النواخذ 25، حقيقة التوحيد. 77
- 104 . النواخذ. ص. 29 (بتصرف).
- 105 . حقيقة التوحيد. ص. 79
- 106 . المرجع السابق نفسه، النواخذ. 20، 31
- 107 . الآية الكبرى. ص. 66-76
- 108 . المرجع السابق. ص. 74
- 109 . رسالة الطبيعة. ص. 8
- 110 . موقف العقل. مصطفى صيري. 346-345/2، 384-383، 394-396
- 111 . رسالة الطبيعة. ص. 11
- 112 . المرجع السابق نفسه، وأنظر توظيف نفس المصطلحات عند صيري في موسوعته الآنف الذكر.
- 113 . رسالة الطبيعة. ص. 12
- 114 . العبارة موهمة لأنه يقصد الاستدلال بالنظام الواحد على وجود المنظم الواحد، بينما يستعملها اليونان لمعنى آخر غير هذا ولهذا كنا ومازلنا نحبذ عدم نحبذ عدم استعماله، واستعمال مصطلح أصفى في الدلالة المراد.
- 115 . رسالة الطبيعة. ص. 14
- 116 . المرجع السابق. ص. 15-16. منهج الاستدلال على وجود عند شيخ الإسلام مصطفى صيري. ص. 184
- 117 . رسالة الطبيعة. ص. 17
- 118 . المرجع السابق. ص. 18-19
- 119 . المرجع السابق. ص. 21
- 120 . المرجع السابق. ص. 22-28
- 121 . المرجع السابق. ص. 35-36
- 122 . المرجع السابق. ص. 36، حقيقة التوحيد 44-45



د. عمار جيدل

- 123 . المرجع السابق.ص 144، موقف العقل. 345/2-346، منهج الإستدلال على وجود الله عند شيخ الإسلام مصطفى صبري. ص 186-187.
- 124 . حقيقة التوحيد.ص 169-170(بتصرف).
- 125 . حقائق الإيمان. ص. 44.
- 126 . المرجع السابق نفسه، النوافذ.ص.22.
- 127 . نظرات في فكر الغزالي. د/عامر النجار. ص 117، مطبعة دار الصفا القاهرة د/ت.
- 128 . المرجع السابق. ص. 116.
- 129 . النوافذ.ص 10-11.
- 130 . حقيقة التوحيد. ص. 170.
- 131 . مناهج الأدلة في عقائد الملة. ابن رشد الحفيد.ص 150، تح وتق محمود قاسم الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية. 1964. تكاد تكون الصور الاستدلالية واحدة ، وكأنها منقولة هن ابن رشد.
- 132 . قدّم الأستاذ الدكتور محمود قاسم لكتاب "المناهج" لم يكن له من همّ فيه سوى الحط من المذهب الكلامي الأشعري، والكتاب مثال رائع في القراءة الإقصائية لخبرتنا المعرفية، قراءة تبنى أساسا على ضرورة إلغاء الآخر بهدف إثبات الذات المذهبية.
- 133 . حقيقة التوحيد.ص 158-159، النوافذ.ص. 93.
- 134 . الآية الكبرى. ص 97-99.
- 135 . كلمات صغيرة. ص. 8.
- 136 . المرجع السابق. ص. 83، 81، 80، 71، 70، 30، 15، 22، 19، 17، 14، 8.
- 137 . المرجع السابق.ص 97، الإيمان وتكامل الإنسان. النورسي 59، 49، 47، 44، 39، 35، 31، 29. تر. إحسان. مطبعة شركة النسب للطباعة أسست لتبول. 1986، كلمات صغيرة. 97، 83، 81، 80، 71، 70، 30، 25، 22، 19، 17، 14، 8.
- 138 . حقيقة التوحيد.ص. 166.
- 139 . الآية الكبرى. ص 28-49.
- 140 . شعائر النورسي.ص 576. نقلا عن الإيمان وتكامل الإنسان. ص. 66.
- 141 . إذا تعطلّ في الإسلام البعد الوظيفي للعبادة وإن كانت شخصية قد يتعطلّ الثواب المرجو منه أو جزء منه على الأقل مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ العنكبوت، الآية 45، وبيّنه قول النبي: "فيما رواه ابن عباس مرفوعا من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا".



## إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم عند النورسي

الصلاة (عبادة شخصية عينية)-----بعدها الاجتماعي (النهي عن الفحشاء والمنكر).

إذا تعطل بعدها الاجتماعي -----تعطل الهدف المرجو منها (زادته من الله بعدا).

أما سائر العبادات ذات المحتوى الاجتماعي الظاهر فالحديث عن بيانها من نافلة القول (الزكاة ، الصوم، ...) ونحن نذهب إلى أوسع، فنعتبر شهادة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) نفسها غنية بالمعاني الاجتماعية، إذ من سلم بها يعلم علم يقين أن المال مال الله والعباد عيال الله وبالتالي لا بد أن ينفق من مال الله على عباده... ويجاوزه إلى إثبات صلة رحم إنسانية بتلك الشهادة، إذ مقتضاها أن لا مميّز بالسيادة على البشر لغير الله فالفضل له وحده وهذا يقتضي أن ينظر إلى بني الإنسان نظرة واحدة أساسها التكريم الإلهي فلا تمييز بالمناصب أو الألوان أو الأنساب أو...

142. تاريخه حياة النورسي. ص 143. نقلا عن 67.

143. حقائق الإيمان. ص 12-15، الآية الكبرى. ص 29. الملائكة. ص 43-44.

144. حقائق الإيمان. ص 17-33.

145. النوافذ. ص 22-26-93-97، حقيقة التوحيد. ص 37، 35، 30، 29، 25، 23، 21، ....، 170.

146. الشكر، النورسي. ص 49. تر. إحسان. مطبعة شركة النسل استنبول. 1985.

147. حقائق الإيمان. ص 89.

148. المرجع السابق. ص 90.

149. المرجع السابق. ص 108-109.

150. كلمات صغيرة. ص 40.

151. الآية الكبرى. ص 77.

152. الشكر. ص 16.

153. كلمات صغيرة. ص 31-39.

154. الإيمان وتكامل الإنسان (المقدمة). ص 7-18.

155. حقيقة التوحيد (المقدمة). ص 5-12.

156. الشكر. ص 18 (بتصرف).

157. المرجع السابق. ص 11.

158. المرجع السابق. ص 31.

159. المرجع السابق. ص 27.

160. المرجع السابق. ص 32.

161. النوافذ. ص 30، 29، 75، 71، 68، ... حقيقة التوحيد. ص 157-178.



د. عمار جبدل

162 . رسالة الطبيعة، ص 7-35.

163 . حقائق الإيمان. ص 81-90.

164 . حقائق الإيمان. ص 104.

إشارة: تجدر الإشارة إلى بعض المصطلحات الموظفة في المداخلة: تر. ترجمة، إحسان المراد به إحسان قاسم الصالحي، تح. تحقيق، تق. تقديم، ما قبلها رقم المجلد وما بعدها رقم الصفحة، ط. الطبعة.

بِحَمْدِ اللَّهِ

[مجلة كلية أصول الدين - الصراط] السنة الثانية، العدد الثالث، جمادى الآخرة 1421هـ، سبتمبر 2000م. - 76

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ  
يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً

"سورة النساء، الآية 92"